راهنية سوسير من خلال برنامج السوسيرية الجديدة

محمد الملاخ*[1]

الملخص

نحاول في هذا البحث أن نبين بعض السمات الجديدة للفكر السوسيري في سياق القراءات الجديدة للمخطوطات. تكشف هذه القراءات افتراضات وتصورات جديدة كامنة في المتن السوسيري الموسع الذي يقتضي ما هو أبعد من مجرد مقترحات برمجية، حيث يفتح أفقا جديدا للسانيات المتون ولسانيات النصوص.

Abstract

The aim of the present paper is to show some new features of Saussurian thought in light of a new reading of his manuscripts. This would reveal new assumptions and concepts in the extended Saussurian corpus which entails, beyond its programmatic proposals, some new horizons for corpus and text linguistics.

الكلمات المفاتيح: السوسيرية الجديدة – المتن السوسيري الموسع – راهنية سوسير – العرفنة – المقاربة الفيلولوجية – المقاربة التأويلية– النزعة الطبيعية– المتون الوسائطية.

تطرح جدوى إعادة قراءة سوسير أكثر من سؤال في مرحلة زمنية، من أهم مياسمها ظهور أنموذجات جديدة طبعت الخريطة المعرفية للسانيات التي يغلب عليها النزوع المعرفي والتوجه نحو مكننة اللغة من خلال المعالجة الآلية والمقاربات الحاسوبية. ومن ثمة حضور الأسئلة التالية : ما الأفق المعرفي الجديد الذي تفتحه العودة إلى سوسير؟ هل تمنح مفاتيح جديدة لتجاوز بعض أزمات المشهد اللساني المعاصر؟ ما هي انعكاساتها على تاريخ العلم وأبستمولوجيا اللسانيات؟ هل تسمح هذه العودة بإمكانية تحقيق حلم علمي مشروع بتجديد أسس ومفاهيم اللسانيات وإعادة تنظيم حقلها المعرفي؟

لقد أسفر النقاش حول ما اصطلح عليه بالسوسيرية الجديدة عن بروز قطبين أساسيين:

- قطب فيلولوجي
- قطب تأويلي

* أستاذ اللسانيات وتحليل الخطاب المشارك، جامعة القاضي عياض، الكلية متعددة التخصصات، أسفي، المغرب.

يروم القطب الأول إثبات نسب نصوص دي سوسير انطلاقا من جدلية التقارب أو التباعد بين نص "الدروس"[1] والمصادر الأصول (غودل)[2]. أما القطب الثاني فيسعى إلى تفسير كل ما يتعلق بتصورات سوسير مع إعادة قراءة زمنية / تاريخية تعيد ترتيب الأفكار والتصورات في سياقاتها المعرفية والتاريخية، محاولا تقديم بنية نظرية تفسيرية منسجمة وعامة لشتات الأفكار المبثوثة في المخطوطات والمدونات، أي ما يمثل أرشيف سوسير في اقترانه بنص الدروس. فبفضل الاشتغال المتآزر للقطبين الفلولوجي والتأويلي، كما تبين "توتان"[3] يمكننا أن نفهم اليوم بشكل أفضل الثنائيات التي بني حولها مشروع اللسانيات البنيوية، والتي عُرِضت بشكل مبسط ومختزل في الدروس (لسان/ كلام، اعتباطية العلامة اللغوية وخطية الدال / دال / مدلول / آني / تعاقبي، قيمة / دلالة...).

تروم السوسيرية الجديدة[4] إعادة قراءة سوسير انطلاقا من شبكة مفاهيمية معاصرة متوافقة مع المشكلات الحالية لعلوم اللغة، مع الحرص على استصراح البرنامج الإبستمولوجي المميز للمتن السوسيري الموسع – وليس فقط نص دروس في اللسانيات العامة – والذي ظل مجهولا على نطاق واسع في التقاليد القرائية السائدة لتاريخ الفكر اللساني الحديث، وتبعا لـ "سيمون بوكي"[5]، يمثل استحضار هذا المتن فرصة لإعادة تقويم الأنموذج البنيوي في اللسانيات مع إضاءة المآزق النظرية التي قادت إلى أفوله ومجالات البحث التي أضاعت اللسانيات الحديثة فرص استكشافها، وممرات جديدة لبناء لسانيات مندرجة في إطار أوسع لعلوم الثقافة تسهم في إخراجها من أزماتها. وستظل مسألة صياغة ملامح الإجابة عن السؤال التالي تحكم أفق مشهدنا المعرفي المعاصر : "هل يستجيب سوسير اليوم للأسئلة التي نطرحها حول اللغة، وحول برنامج معالجتها وإبستمولوجياتها ونماذجها؟"[6]، لكن البحث في إمكانية تحقق هذه الاستجابة لا يمكن أن يكون إلا من منطلق تكسير الصورة الكلاسيكية الموروثة عن سوسير المكرسة داخل التقاليد الأكاديمية [7] والصيغ التأريخية القطعية لتاريخ الفكر اللساني الحديث القائمة على فكرة وجود تجاوزات وتحولات من مرحلة إلى أخرى أفضت إلى الاعتقاد بأن اللسانيات التوليدية وتحليل الخطاب والنظريات التلفظية والتداوليات تشكل تجاوزا للسانيات البنيوية. وسيظل تاريخ الفكر اللساني الحديث غير مكتمل طالما لم نقم باستجلاء العمق النظري والفلسفي للأفكار اللسانية والرهانات المبثوثة في المتن السوسيري الموسع [8].

لقد أسهم برنامج السوسيرية الجديدة الذي يقوده كل من سيمون بوكي وفرانسوا راستيي في مراجعة بعض الأحكام والتمثلات التأريخية المغلوطة للفكر السوسيري، أهمها:

- ليس ثمة قطيعة بين اللسانيات العامة واللسانيات التاريخية والمقارنة، فتفكير سوسير كان مشدودا لإرساء برنامج علمي ناجع للسانيات المقارنة لعصره، أي إعادة بناء اللسانيات المقارنة والتاريخية على أسس

إبستمولوجية ومنهاجية صلبة؛ بل إن التحول المفاهيمي لمصطلح اللسانيات العامة في القرن العشرين والذي جعل منها برنامجا علميا مبنيا على رصد مفاهيم وخصائص الظواهر اللغوية وإجراءات التحليل العامة والقوانين الكلية، يمثل تحريفا واضحا لمفهوم اللسانيات العامة عند سوسير الذي جعل منها برنامجا علميا يتشكل في صلب الاشتغال على اللغات وتنوعاتها في إطار مقارن وتاريخي، يبين الاشتغال الفيلولوجي على المتن السوسيري الموسع أن سوسير لم يستعمل مصطلح اللسانيات العامة إلا نادرا (9)، ولدى استعماله لم يكن يقصد به ما قُصِد به في اللسانيات البنيوية لاحقا، بل إن ما سُمّي بـ "محاضرات في اللسانيات العامة"، والذي نسبه بالي وسيشهي لسوسير، لم يكن بحسب راستيي سوى "صورة جزئية ومشوهة لبرنامج اللسانيات العامة، كما تصوره سوسير، وكما تبين مخطوطة في الجوهر المزدوج للغة" (10)، لقد كان يحدوه طموح ربط اللسانيات العامة باللسانيات الخاصة، من خلال التفكير المزدوج في اللغة من خلال الألسنة الطبيعية. ولهذا الطموح راهنيته في المشهد العام للسانيات المعاصرة، حيث نجد "تعددا وكثرة في نظريات اللغة وندرة في الدراسات الوصفية للألسن"(11). لقد ابتعدت اللسانيات في مسار تطورها عن العلوم التاريخية والاجتماعية واقتربت من فلسفة اللغة والتيارات الوضعية لتسجل انفصالها الضمني عن البرنامج العلمي للسانيات الذي رسمه سوسير.

- لقد تم تقديم الثنائيات السوسيرية التي شكلت إحدى دعائم اللسانيات البنيوية تقديما مبسطا ومختزلا وباترا للعمق التحليلي. وتكشف مخطوطات سوسير، وبشكل أخص مخطوطة "في الجوهر المزدوج للغة"، عن فهم يسمح ببناء نظرية ممفصلة للثنائيات ولتطبيقاتها الموسعة في حقل الدراسات النصية والمتون المتعددة الوسائط لعصرنا مثلما سيبين باقتدار فرانسوا راستيي، ففي تصوره تستجيب السوسيرية الجديدة لمطلب صياغة سيميائيات موسعة قابلة للتطبيق على المتون الوسائطية (12)، كما يمكننا الفهم السليم للثنائيات من مراجعة التمثلات الخاطئة التي هيمنت طيلة فترات طويلة، من بينها أن الثنائيات ليست إقصائية أو اختزالية، فمن وجهة نظر منهاجية "هي بمثابة هيمنة لمنظور منهاجي يبنى انطلاقا من أحد قطبي الثنائية دون إقصاء للقطب الآخر، لأن فهم قطب يكون من خلال الكل الذي يتضمن القطبين معا ومن خلال أقطاب أخرى حاضرة أو غائبة يبنى انطلاقا منها النسق" (13).

- يمكن استلهام الطريقة التي تصور بها سوسير صياغة موضوع اللسانيات من خلال تنويع وجهات النظر، كأفق لرصد الظواهر الثقافية المركبة، التي تعد اللغة جزءا منها. وهذا التمثل لتكامل زوايا النظر للموضوع يمكن استلهامه لتأسيس تصور جديد للعلوم الإنسانية لا يقوم على الثنائية الإقصائية أو الاختزالية، ولتجاوز

أزمة المقاربات البينية والعَبرية لموضوعات العلوم الإنسانية التي لم تؤسس على منظور تكاملي حقيقي، مثلما سيبين "راستيي".

- ينبغي استعادة الوحدة المفقودة في الفكر الغربي بين التفكير المنطقي- النحوي والتي تعد اللسانيات الحديثة امتدادا له، والتفكير التأويلي- البلاغي، وتمثل القراءة السوسيرية الجديدة رتقا للفجوة التي كرستها العلوم الإنسانية في صورتها التقنية والعلمية. فنصوص سوسير الأصلية تبين أن ثمة اتصالات فُقِدت في التفكير المعاصر واستُبدِلت بثنائيات قائمة على الفصل، ومن بين الاتصالات المفقودة: التوحيد بين نظرية العلامات ونظرية النصوص، جعل الخصائص الصورية والرياضية للموضوعات مرتبطة بمظاهرها التأويلية وتنوعاتها الفردية، فهم الذهني بالمادي، تأويل الأجزاء بالكل وفق جدلية لا تؤسس لفصل الجزء عن الكل. لقد أبان المنحى الوضعي والصوري في اللسانيات البنيوية وغيرها سليل التفكير المنطقي والوضعي قصوره في وصف التنوع بكافة أشكاله في النصوص والألسنة من قبيل: تنوع ورودات الوحدات اللغوية ومعانيه، ومشكل التنوعات الدلالية داخل الخطابات والأجناس والأساليب.

سأسعى من خلال هذه الدراسة إلى تقديم بعض الأطروحات النقدية التي تتداولها أدبيات السوسيرية الجديدة، في أفق جعل سوسير محاورا للمشهد اللساني والمعرفي المعاصرين، أي أن نفكر مع دي سوسير.

في مقدمة الأطروحات سؤال البحث عن المسالك الممكنة لترهين Actualisation سوسير، وسأنظم هذه الأطروحات من خلال ثلاثة مداخل أو معابر ممكنة للترهين، ذات طابع إشكالي:

1 . مدخل موضوع اللسانيات ووحداته؛

2 . مدخل ثغرات أو فراغات الفكر السوسيري؛

3 . مدخل الاستشراف (ما يسميه راستيي "سوسير في المستقبل".

قبل طرح تصورنا لهذه المداخل، لا بد من التذكير ببعض الأساسيات التي تم الاستدلال عليها في النقاش الدائر حول حضور سوسير:

أ- من مفارقات تلقي سوسير أن كتابته كانت بالمحو، فالفكر اللساني الحديث في سعيه نحو فهم سوسير من خلال نص " الدروس" كان يمحوه مستندا إلى نسخة مؤسسة على الاختزال والانتقاء والسعي نحو بناء نسق

فكري متسق ومنسجم، محرفة مقاصد سوسير. ويتعلق الأمر بالنسخة الشائعة la vulgate المتجسدة في المحاضرات التي نشرها بالي وسيشهي[14].

ب– مجموعة من طروحات ما بعد البنيوية التي تأسست على هدم مصادرات الفكر البنيوي وما اعتبر نصه المؤسس (محاضرات سوسير في اللسانيات العامة) أصبحت محط نقاش اليوم، فما بعد البنيوية ليس تجاوزا للسانيات سوسير، بل هو تجاوز لقراءة حكمت المشهد المعرفي منذ خمسينيات القرن الماضي، وكثير من مصادرات النقد ما بعد البنيوي حاضرة في مدونات ومخطوطات سوسير بصيغة أو بأخرى.

ج– ليس هناك انقطاع بين سوسير اللساني والمقارن والباحث في الأساطير والخرافات، واللسانيات العامة ليست تجاوزا للسانيات التاريخية أو المقارنة، وإنما هي سعي إلى تجاوز عوائقها المعرفية والمنهجية. فمشروع سوسير لا يتأسس على القطيعة مع المناخ المعرفي لعصره، وإنما يحدو صاحبه هاجس إعادة ترتيب السائد. ويزداد الباحثون اليوم اقتناعا بأنه لا يمكن فهم سوسير إلا بإعادة رسم الخريطة المعرفية لعصره ولتحولاتها.

لقد ولدت تأملات سوسير في اللسانيات العامة من رحم التفكير في مآزق النحو المقارن ومن افتقاره إلى التعميمات والاستنتاجات التي تهم النظام اللغوي، وليس من تعميمات جزئية مرتبطة بأنظمة فرعية مثل نظام الصوائت أو النظام الصرفي للفصائل اللغوية، وقد حرص سوسير على جعل تفكيره مرتهنا بإمكانية تحقيق وثبة إبستمولوجية دالة، ينتقل بمقتضاها الدرس اللغوي من المقارنة ومراكمة المعطيات إلى التعميم وصياغة القوانين الجزئية المرتبطة بدراسة الأنساق اللغوية الصغرى مثل نظام الصوائت وغيرها وصولا إلى القوانين الشاملة التي تضبط كيفية عمل اللسان [15].

فالمقاربة الفيلولوجية المعضودة بمقاربة تأويلية تتيح إمكانية تتبع تطور المفاهيم الأساس عند سوسير، وأعني بذلك المفاهيم المتشكلة في رحم اللسانيات التاريخية والمقارنة؛ يكفي أن نستحضر ارتباط بداية تشكل مفهوم القيمة والنسق من خلال عمليْ سوسير "النسق الصائتي للغات الهندو أوروبية" و "الإضافة المطلقة في السنسكريتية". هذا التطور التاريخي للمفاهيم حجبته نسخة الدروس، ويمكن أن نذهب أبعد من ذلك لنقول إن مجموعة من المفاهيم الإجرائية في التحليل البنيوي للنظام اللغوي من قبيل الفونيم والمورفيم قد تشكلت في كنف المتون اللغوية التي انكبت اللسانيات التاريخية والمقارنة على دراستها.

د– لم يحرص سوسير على تماسك أو تجانس الإطار النظري والتصوري في صورته المبسطة والمختزلة التي عرضها شارل بالي وسيشهي في النسخة الشائعة من الدروس، حيث ترسم نصوص سوسير الأخرى الموازية التي اكتشفت لاحقا صورة "العالم القلق" و "المتعدد" في رحلة بحث مستمرة ومساءلة وحفر في أدوات البحث اللساني ومفاهيمه وأسسه. لقد تحولت الدروس في صورتها التقليدية الشائعة إلى نوع من التحريف للفكر السوسيري من خلال صناعة فكر متسق ونهائي، ينضبط لخطاطة تفسيرية مسبقة، في حين أن الرهان السوسيري كان دائما متمثلا في ضرورة التفكير المتكرر في القضايا من خلال أكثر من زاوية، مما يؤكد الطابع المنفتح للفكر السوسيري، والمبني على التفكير المنهجي المنضبط حول قضايا مازالت إشكالاتها مستمرة ومتجددة في اللسانيات الحديثة حتى اليوم. وأهم هذه القضايا التي نعدها محوريات [16] themata الفكر اللساني الحديث: قضية ماهية الظاهرة اللغوية (أو سؤال الماهية)، وقضية مكونات الحدث اللغوي ووحدات التحليل، وهي قضايا ذات طبيعة منهاجية. بل إننا نلحظ عدم تطوير برامج علمية قادرة على الدفع بممكنات الأطروحات الأساس للسوسيرية في اللسانيات المعاصرة. فمثلا الطابع المزدوج للسان كمعطى اجتماعي ونفسي تم فصله في برامج لسانيات القرن العشرين ومقوماتها التصورية والمنهجية، وغُيّبت مقاربة منسجمة للتعقيد، لأن كلمة الفصل كانت للبرامج القائمة على التعميم أو الكلّيانية أو الاختزالية.

1– مداخل الترهين في السوسيرية الجديدة

1–1. مدخل موضوع اللسانيات ووحداته

سكنت مشروع سوسير ثلاثة هواجس تمثلت في: الموضوع ومستوياته والمنهج والمصطلح، وهي نفسها الهواجس التي صاحبت التفكير اللساني الحديث. إن تشظي الموضوع اليوم (موضوع اللسانيات) في خرائطية cartographie العلوم اللغوية بخواصها البينية Interdisciplinaire وعناصرها العابرة Transdisciplinaire يجعل الأمر أكثر إرباكا عندما نريد التفكير في " ماهية موضوع اللسانيات" . ولا تكمن نواة التفكير السوسيري في ابتكار إجراءات لتحليل اللغة côté procédural ما مَثَّلَ الاختزال البنيوي للمشروع، وإنما في السعي المنفلت دائما نحو تحديد ظاهرة اللغة نفسها، فالظاهرة اللغوية مركبة (ما سيكشفه نص "في الجوهر المزدوج للغة")[17]، لأن اللغة قائمة على ثنائيات تأبى الفصل، يستحيل إدراك الصوت دون المعنى والمعنى دون الصوت، والكيانات اللغوية منغمسة في هذه الثنائيات. يحكم هذا القانون الازدواجي ثنائيات سوسير التي خضعت لأبستمولوجيا الفصل مع نسخة شارل بالي وسيشهي، حيث تمثل الثنائيات وجهات نظر لمناولة الموضوع ولبنائه،

فالموضوع لا وجود له خارج هذه السيرورة البنائية ما دام غير مطروح بشكل قبلي. ويبين سوسير بشكل دقيق أنه باستثناء ثنائية آني/تعاقبي Diachronie/Synchronie التي تعتبر ملازمة للموضوع الذي له وجه آني وتحولات في الزمن، مثله مثل موضوعات علوم المادة والحياة، فالثنائيات المتبقية بناءات نظرية، تمثل جزءا من وجهات النظر التي تخلق الموضوع. وبذلك تصير فلسفة تنويع وجهات النظر بغاية بناء وفهم الظاهرة اللغوية منظورا إبستمولوجيا للعلوم الإنسانية ينبغي أن تحتذي به في مقارباتها لدراسة الظواهر الثقافية المركبة، مما يستدعي ضرورة استيعاب استلزامات هذا التصور بالنسبة إلى إبستمولوجيا العلوم الإنسانية برمتها.(18)

إن العودة إلى نص "في الجوهر المزدوج للغة" ومدونات "قسطنطين" وكراساته المتعلقة بما يسمى بدروس العام الثالث. ومخطوطات سوسير وملاحظاته التمهيدية لمحاضراته، مع اتخاذها نقطة ارتكاز لخلق شبكة قراءة grille de lecture جديدة لفكر سوسير، أقول تكشف هذه العودة ممرات وطرقا pistes ثورية ومختلفة لإعادة قراءة سوسير وترهينه، وذلك للاعتبارات التالية:

أ. تأكيد الترابط بين اللسان والكلام، وإمكانية بناء وحدات للسان ووحدات للكلام على حد سواء، يعتبر سوسير الكلام العنصر المحدد في ثنائية لسان / كلام، لأن العلامات تستخلص من الكلام، وهكذا تسمح السوسيرية الجديدة بمفصلة لسانيات اللسان والكلام وإيجاد القاعدة الإبستمولوجية التي افتقدتها، خاصة مع الكشوفات المرتبطة بلسانيات النص والخطاب واللسانيات التلفظية التي أقامت فتوحاتها على فصل مزعوم ومغلوط بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام (19)، ونظرا إلى ترابط المفاهيم السوسيرية، فمفهوم لسانيات اللسان والكلام لا يدرك إلا من خلال استيعاب الاستلزامات النظرية والتحليلية لمفهوم العلامة اللغوية.

ب. انسجام المستويات في بنية اللسان، بمعنى أن الصرف والصواتة والتركيب تشكل وحدة، تؤمنها نظرية العلامة اللغوية (ما سيعتبر لاحقا مستويات التحليل في اللسانيات البنيوية). ليست فكرة تقسيم اللسان إلى مستويات منسجمة مع تمثله باعتباره نظاما مركبا ومعقدا، على الرغم من أن جهود اللسانيين اليوم منكبة على دراسة ترابط الأنساق الجزئية والفرعية من خلال نظرية الوجاهات interfaces، فالتصور الأساسي عند سوسير يتمحور حول فكرة مفادها أن تجزيء الموضوع ينبغي أن يستتبعه بحث في ترابط الأجزاء. وما نفهمه انطلاقا مما خطه سوسير هو معارضته لتقسيم اللغة إلى أجزاء منفصلة وغير مترابطة، يجب أن نفهم الأجزاء من خلال الكل. ونحن نصل إلى ذلك من خلال تنويع وجهات النظر. وبالنسبة إلى سوسير ينبغي أن يضع دارس اللغة نصب عينيه الطابع المركب للظاهرة اللغوية، لذلك يجب أن يظل الرهان لدى الدارس إنجاز وصف للغة لا يفقدها وحدتها باعتبارها موضوعا

مركبا. ويتأسس وصف الطابع المركب والمعقد للغة من خلال إدماج كل الثنائيات في سيرورة وصف وتحليل الحدث اللغوي [20]. ومن بين المعضلات التي تحول دون بلورة "بينية داخلية" معضلة الذرية التخصصية وتكاثر النماذج الجزئية في اللسانيات. ففي تخصص الصواتة، تجد عددا من النماذج توازيها كثرة نماذج التركيب أو الصرف أو الدلالة، لذلك فالحاجة ماسة لإقامة انسجام أو اتساق تخصصي. ما نستخلصه من المنظور السوسيري الجديد هو أن منظور سوسير للغة باعتبارها نظاما مركبا ومندمجا يعارض التصورات التجزيئية التي سارت في منحاها اللسانيات المعاصرة.

ج. في تعالق مع المسألة السابقة يشير نص "في الجوهر المزدوج للغة" إلى مجموعة من المكونات التي تندرج في سيميولوجيا اللسان: "السيميولوجيا: الصرف والتركيب والنحو والمعجم والترادف والبلاغة والأسلوبية...الكل غير قابل للفصل" (دي سوسير، 2002 ،كتابات في اللسانيات العامة، ص 41- 42). يطرح هذا النص مجموعة من القضايا والإشكالات، من أهمها أن تحديد السيميولوجيا غير قائم على تصنيف أشكال وأصناف العلامات؛ ويبدو أن التحديد هنا ينبني على إدراج مكونات اللغة من جهة، والتخصصات المعرفية من جهة أخرى، فيما يشبه تمثلا للعلم مؤسسا على تداخل مجموعة من التخصصات المعرفية وتكاملها، ومن بين هذه التخصصات ما كانت موضوعاتها المدروسة منتمية إلى مجال الخطاب والنص بأجناسه وأنماطه ومعاييره، ويتعلق الأمر بالبلاغة والأسلوبية. وسنسعى في الفقرات التالية إلى تدقيق مقتضيات هذا التحديد بالنسبة إلى برنامج السوسيرية الجديدة.

د. تتميز وحدات اللسان بخاصية الاتصالية والانفصالية، بمعنى أن التعريف الحديث للغة بكونها سلسلة من الوحدات المنفصلة والمتعاقبة والذي يعتبر امتدادا لمفهوم خطية الدال عند سوسير، لا ينتبه إلى أن العلامة ذات وجه اتصالي وانفصالي. فالقطعات الصوتية والصرفية والمركبات تكشف الوجه الاتصالي، لكن علامات التطريز والترقيم والجناس التصحيفي anagrammes والتشاكلات isotopies هي علامات لا تخضع لمنطق الاتصال والتعاقب، وبذلك فالمكونات التي تبني النظام اللغوي وتحدد الحدث اللغوي باعتباره فاعلية لا تنحصر في العناصر الخطية المتعاقبة التي يمكن عزلها وجعلها قابلة للملاحظة والتحليل. فيتأسس النظام، بذلك، على عناصر خطية وأخرى لا خطية، تتداخل وتتكامل في مسارات اشتغالها في مستوى الإنتاج والتأويل.

هـ. العلامة اللغوية شيء ننتهي إليه ولا نبدأ به، فهي كيان غير معطى سلفا؛ فليست العلامات جردا معطى وجاهزا؛ إنها كيانات متحولة في تجلياتها لأن الوحدات تسلسل يعاد بناؤه كل مرة وبشكل متجدد، فـ "موضوعات اللسان ليست مطابقة لذاتها في كل مرة وليست متجانسة أو منفصلة أو قارة"[21]. واللسان ليس "مفردات

وقواعد"[22]، لأن المفردات "أجزاء الخطاب" تغير مقولتها وهرميتها من سياق لآخر (الصفات تصير أسماء والأسماء تصير صفات). عندما نستقرئ نصوص سوسير ندرك أن تصور اللسان كنظام توليفي système combinatoire محكوم بقواعد ومبادئ (التحديد التشومسكي)، لا يمكن أن نحتكم إليه لنجعل منه جوهر عمل اللسان وآليات محددة لعمله. وتكشف مخطوطات سوسير عن وعيه بمبدأ التوليف principe de combinaison، غير أن آليات عمل النظام اللغوي لا تُختزل في مبدأ التوليف نظرا إلى تعقد الحدث اللغوي وإبداعيته.

و. الدال لا يحدد بالمدلول، بل بالنظر إلى العلامة اللغوية باعتبارها كلّا مركبا؛ فلا يمكن رصد شيء داخل الثنائية إلا في ارتباطه بطرفيها، وهذا المنطق يحكم تصور سوسير للازدواجيات Dualités. إن كل طرف في الازدواجية لا يفهم إلا في علاقته بالآخر: التعاقبي يفهم بالآني، واللسان يفهم بالكلام, والكلام باللسان. إنه سوسير مفكر التعقيد. ولا توجد أية أفضلية يمكن منحها لقطب من الازدواجية، فيمكن الانطلاق من زوايا مختلفة للوصول إلى الموضوع ذاته، المجرد يدرك بالملموس والملموس يدرك بالمجرد، ونحتاج إلى تنويع وجهات النظر لمناولة الموضوع ذاته وللتحكم في تعقيده وتطوير صيغ فهمه. ولهذا التصور نتائج إبستمولوجية بالغة الأهمية لتجاوز الواحدية monisme أو الاختزالية أعني اختزال الذهني/المجرد في الملموس/الدماغ. لقد قاوم سوسير هذا الاتجاه الطبيعي naturalisme في عصره، وهو اتجاه يعود في أصوله إلى شلايشر، لينخرط في تصور ازدواجي: اللسان نفسي واجتماعي، وبهذا يمكن أن نستوحي اليوم هذه المقاومة لأن الموضعة الطبيعية للعلوم الإنسانية naturalisation تعود بقوة في مشهدنا المعاصر. إن معاداة سوسير للتوجه الطبيعي ودفاعه عن العوامل الاجتماعية والتاريخية الفاعلة في اللسان، يمكن أن نجد له صدى مماثل في مشهدنا المعرفي الراهن من خلال الثورة المعرفية للجيل الثاني في العلوم المعرفية، الذي يحاول ربط المعرفية بالجسد والمجتمع، وهو اتجاه يسير في منحى عدم فصل الفكر عن المادة أو اختزاله فيها. ومعلوم أن القراءة المتأنية للمتن السوسيري الموسع تبين أن دي سوسير قد اجتهد من أجل صياغة تفكير لساني ينفلت من الأطروحة الديكارتية الثنائية التي تفصل الفكر عن الجسد، باعتبارها ماهيات منفصلة، وهو التوجه نفسه الذي حكم التفكير المنطقي والنحوي في الفكر الغربي، واستمرت آثاره في تيارات لسانية ما بعد سوسير من خلال تأكيدها على الطابع الأداتي للغة في علاقتها بالفكر معتبرة اللغة تمثيلا للفكر وأداته، فالطابع الازدواجي للحدث اللغوي كونه ذا طبيعة ملموسة ومجردة في الآن ذاته، يقوض التصورات القائمة على الثنائية الفصلية أو الأحادية الاختزالية في الفكر اللساني الحديث.

تُفهم العلاقة الترابطية بين الدال والمدلول في سياق تصور سوسير للعلامة باعتبارها نظاما مفتوحا على السياق السابق واللاحق، فالمدلول مفتوح على دوال متنوعة، ولهذا التمثل جذوره في تحليل سوسير للجناس التصحيفي، وبذلك يصير التصور الانغلاقي للعلامة في النص الشائع للدروس(محاضرات في اللسانيات العامة) تأويلا تحريفيا لمقاصد سوسير. ومن بين التصورات الثورية لعلاقة الدال بالمدلول التي يكشف عنها نص "في الجوهر المزدوج للغة"، أن العلاقة بينهما ليست تقابلا ثنائيا مطلقا، بل تقابلا نسبيا وتدرجيا يحيل إلى وحدات تنتمي إلى طبقات متنوعة من مدارج تنظيم العلامة بمعناها الموسع، ومن بين هذه الوحدات التي تدفعنا إلى إعادة صياغة تصورنا للعلامة بشكل مغاير لما تتداوله المداخل التبسيطية للسانيات البنيوية، نذكر الوحدات التالية: المحمولات والمعجمات والتطريزات وعلامات الترقيم والأشكال الطباعية والمحتويات الدلالية، إذ تقبل هذه الوحدات التموضع بكيفية مرنة ومتغيرة في سياق الدال والمدلول؛ فالوحدات الصغرى يمكن أن تُقرن بوحدات كبرى، والعكس صحيح. يمكن للوحدات الكبرى من قبيل المعنى الإجمالي لنص أن تحدد مدلول وحدة صغرى مثل الفاصلة أو النقطة، ووفق هذا التحديد يمكن لعلامة كبرى من قبيل الجنس أو الأسلوب أن تحدد مدلول علامة صغرى, مثل استعمال الزمن الماضي في متوالية سردية. هكذا يحدد الكل الجزء. ومن نتائج هذا التصور أن التمثل التأليفي الخطي للعلامات لا يسمح بفهم ناجع لسيرورة تكوين الملفوظات وتأويلها / تأويلاتها. ليست العلامات هي التي تشكل النصوص، بل النصوص هي التي تكون العلامات، فالجزء لا معنى له إلا بموجب علائق النسق. ومعنى الملفوظ ليس تجميعا لمعنى الوحدات الصغرى المكونة له، مثلما أن النص ليس نتاجا لسلسلة الجمل التي تكونه.

وفي سياق هذا التمثل يجري الربط بين الجزء والكل، لأن ثمة جدلية تكوينية ترابطية بينهما، فالوحدات الموضعية تحدد بالوحدة الشمولية والعكس بالعكس، لأن العلامة وحدة سيميائية ترابطية مفتوحة على اليمين واليسار، بمعنى أنها تحيل على ترابطات مرتبطة بالتشاكلات الدلالية والتماثلات الصوتية. يتبين من خلال التصور الموسع للعلامة لدى سوسير محدودية فهم العلامة في الأدبيات البنيوية اللاحقة التي حصرتها في الوحدات الخطية مثل الكلمة أو المورفيم، بالرغم من اعتراض سوسير على هذه المصطلحات وإلحاحه على ضرورة إصلاح المصطلحية العامة لحقل اللسانيات، ومراوحته بين استعمال مصطلح العلامة اللغوية والحد في مخطوطاته. ويغطي مصطلح العلامة مجالا شاسعا من الوحدات مثل: علامات الترقيم والتطريزات والمواقع التركيبية والترتيب العلائقي للمركبات، بل حتى السياق يشتغل كعلامة.

ز. طرح سوسير إشكالا ذا امتداد في مشهد العلوم المعرفية اليوم المنشغلة بقضايا اكتساب اللغة. نلخصه في مبدأ "الهوية والمطابقة". مقتضى الفكرة أن كيانات الحدث اللغوي لا تتلخص في أحداث التصويت الفردية وفي تكرارها، بل في القدرة على استخلاص "الوحدات" داخل نسق يحتكم إلى لعبة القيم المتنوعة التي تلبسها "الوحدة" انطلاقا من آلية التعميم، ولهذه المسألة إسقاطات في النظرية المعرفية، كيف يستخلص الأفراد الوحدات الدالة وتنويعاتها من السلسلة الكلامية.

ح. لا يتشكل المحتوى قبل العبارة وإنما يتبلور ويصاغ مع تبلور العبارة، فالعملية متوازية وليس هناك أسبقية أنطولوجية، فالدلالة توجد في صلب النظام، لأن المدلول علائقي واختلافي ومنزل في السياق. لا يمكن إقامة صرح الدلالة انطلاقا من "التصورات"، كما أن تمثل بالي وسيشهي للمدلول باعتباره كيانا نفسيا متماهيا مع التصورات بمثابة تحريف لمقاصد سوسير، لأن التصورات عنده كيانات غير لغوية لا تنتمي إلى عالم اللسان. وفي هذا السياق الموسع تقترن نظرية الدلالة في الإطار السوسيري بنظرية الوحدات اللسانية، لذلك لا يمكن للدلالة أن توجد إلا في إطار تتعالق فيه الكيانات الدال/المدلول من جهة، والنسق من جهة أخرى، وبالتالي لا يمكن أن نتصور إمكانية تشكيل نظرية للمحتوى مستقلة عن نظرية للعبارة في صيغة نظريتين منفصلتين، فهما مترابطتان بمقتضى ترابط الدال بالمدلول.

ط. مهمة اللساني la tâche du linguiste الاشتغال على الألسنة من أجل فهم قوانين وآليات اشتغال اللسان، وينبغي أن يفضي ذلك إلى الاقتراب من فهم جوهر اللغة. لكن هذا الفصل بين اللغة واللسان هو ما سعت اللسانيات ذات التوجه التشومسكي إلى محوه، فدمج اللسان في اللغة يعود إلى المنحى المعرفي cognitivisme للسانيات التي جعلت اللغة واللسان شيئا واحدا وجزءا من الدماغ. ليس لهذا التصور موقع في النظام المعرفي السوسيري لأن الهدف هو الاشتغال على الألسنة ووصف تنوعها، إن الإجابة عن سؤال "كيف تعمل اللغة" how language works وفق الصيغة التوليدية الذي طرح بها، لا يمكن أن يتم بمعزل عن وصف الألسنة وتنوعاتها، ولا يمكن أن يكون بالاحتكام إلى منطق تذويب اللسان في اللغة وتحويله إلى نسق ذهني/ دماغي، لأن في ذلك تجاهلا لدينامية الفاعلية اللغوية في نشاطها الفردي والجماعي حيث تتشكل وتعدل الصور اللغوية التي تبنى في الفاعلية الكلامية/ الخطابية قبل أن تُدرج في المخزون السلبي الداخلي (اللسان la langue).

يشتغل جزء من برنامج اللسانيات الحديثة على البنيات والقيود والمبادئ، لكن دمج موضوع اللسانيات في علوم أخرى يهدد اليوم استقلالية اللسانيات بالمعنى الذي تصوره سوسير. فيستحيل اليوم أن تكون تركيبيا أو

صواتيا دون أن تعرفن التركيب أو الصواتة cognitiviser أو تحوسب أو تذيب الموضوع في خرائطية تعليمية أو في علوم الترجمة، إنه منطق المقاولات العلمية الحديثة، لكن منطق المقاولة بمعناها التجاري الذي لا تنفك من سطوته المقاولة بمعناها العلمي، هو منطق التنافسية وتجاهل ما يتم الترويج له من طروحات منافسة خارج المقاولة، فمنطق المقاولة يتعارض ومنطق الاندماج والتكامل.

ي. لا توجد اللغة إلا في الألسن، ولا وجود للغة خارج التنوع، ولذلك لا معنى لسؤال الأصل الأوحد أو أصل اللغة، الأصل نقيض التاريخ، لأن الأشياء تتحول باستمرار. التفكير مع سوسير يقتضي إقصاء مشروع اللسانيات الأحيائية Biolinguistics الذي يعد البحث في أصل اللغة جزءا من برنامجه.

2 – ثغرات الفكر السوسيري

أ- من بين ثغرات الفكر السوسيري ما سأسميه مفارقة الاستقلالية، اللغة عنده حدث اجتماعي ونفسي وكل ما في اللغة نفسي، لكن لا يمكن تذويب اللسانيات في علم النفس أو علم الاجتماع، اللسان مستودع سلبي في الدماغ لكن لا يمكن أن نقاربه بآليات العلوم المعرفية اليوم. يرتبط هذا التصور بمفارقة تحديد الموضوع بين الاستقلالية والتبعية، كما أن سؤال كيفية إدماج مشروع سوسير في نظريات الوجاهات الخارجية للسانيات يطرح إشكالات عويصة، وإن كان تصور الوجاهات الداخلية ممكنا وفق ما بين بوكي [23].

ب- يستعمل سوسير السيميولوجيا بمعنيين: السيميولوجيا بوصفها "نسق العلامات اللسانية" و"السيميولوجيا بوصفها نسق العلامات"، بين "تعريف اللسان بأنه نسق من العلامات" و"اللسان نسق من القيم" مسافة زمنية في تفكير سوسير ترتبط عنده بالتفكير في برنامجين استكشافيين يتموضع من خلالهما موضوع اللسانيات بصورة مختلفة، فتارة الموضوع مشدود إلى مظهر تعقد "اللسان" وتفرده بخاصية "نسق من القيم" أساسه العلامة، وتارة أخرى مشدود إلى السيميولوجيا العامة، ولا يوجد حسم بخصوص سمات وإجراءات تحقيق البرنامجين الاستكشافيين. ويبين بوكي[24] أن سوسير كان يتمثل اللسانيات باعتبارها سيميولوجيا للغة، والمبادئ المنهاجية التي أسس لها مثل مبدأ الاختلاف هو مبدأ استكشافي principe heuristique لاستكناه الأنظمة السيميولوجية. اللسانيات ليست إلا جزءا من برنامج سيميولوجي أوسع، مستحضرين في هذا السياق قوله في مخطوطة "في الجوهر المزدوج للغة": السيميولوجيا: الصرف – معجم – نحو – التركيب – الترادف – البلاغة – الأسلوبية... الكل غير قابل للفصل".

ج- يربط سوسير التطور أو التحول اللغوي بالكلام وبآلية القياس analogy التي طبقها باقتدار على تحولات الصيغ ونظام المفردات، لكن هل يمكن اعتبار تصور سوسير كافيا لشرح آليات تطور الأنساق اللغوية؟ هذا بالإضافة إلى أنه يضع تارة القياس كآلية فاعلة في المستوى الآني ويضعها في المستوى التعاقبي تارة أخرى.

3 – مدخل الاستشراف

ما معنى أن نجعل سوسير محاورا مشهدنا اللساني اليوم ومعاصرا لنا؟ بالإضافة إلى ما سبق ذكره، هناك ثلاث صيغ ترهينية ضمن ممكنات الترهين قادرة على استلهام روح التفكير السوسيري:

الصيغة الأولى: استلهام النزعة المنهاجية الأساسية في فكره (كوزريو)، فنحتاج اليوم إلى إرساء منهاجيات قطاعية تشتغل على الكم الهائل من التنويعات الخطابية، التي تتجدد مع الثورة التقانية.

الصيغة الثانية: إرساء برامج علمية تستوعب التنوع والتعدد الثقافي واللغوي، بدل النزعة العلمية التي تسعى إلى بناء التعميمات واحتواء التعدد في نظريات موحدة وفق منطلق الكلية والعمومية. لم يحدث البتة انفصال في لسانيات سوسير عن روح اللسانيات المقارنة والتاريخية بخصوص الشغف بالتنوع، فالطريق نحو بناء آليات عمل اللسان واستكشاف قوانينه الداخلية، يبدأ بالاشتغال من داخل تنوع الألسنة ووفق منطق الازدواجية لن نفهم العام إلا بالخاص والخاص إلا بالعام. وبذلك نفهم إشارة بوكي[25] اللمّاحة إلى كون سوسير لم ينخرط في تأسيس إبستمولوجي للسانيات، فإن دققنا النظر سيتبين أن هاجسه منهاجي بالأساس، أي أن مشكلة العلمية مشكلة منهاجية بالأساس، فهي تكمن في ابتكار المنهاجيات (الوصفية) الصالحة للاشتغال على تنوع الخطابات والنصوص. يتمثل الهاجس الأساس في الإجابة عن سؤال كيف يمكن بناء وصف لوحدات الحدث اللغوي غير المتجانسة وغير القارة والمتجذرة في ثنائيات لا توجد بشكل مستقل عن المنظورات التي تشكلها؟ ولقد بقي هذا البرنامج معلقا لأنه يصوغ مشاكل لم يتم حلها متعلقة باللغات باعتبارها ممارسات ثقافية وبالنصوص باعتبارها موضوعات ثقافية[26].

الصيغة الثالثة: تقترن بملاحظة تنبه إليها راستيي، مفادها أن تصور فصل دراسة اللغة عن دراسة النصوص لم يكن مطروحا مع سوسير ولا مع أقرانه، فهناك خط متصل بين دراسة اللغات الهندو أوروبية والسنسكريتية ودراسة الأساطير والجناس التصحيفي. لذلك يقترح راستيي صيغة لتطوير فكر سوسير وترهينه قائمة على خلق "فضاء المعايير" باعتباره فضاء يتوسط اللسان كمستودع سلبي، والانفتاح على لسانيات المتون لأن القاعدة لا معنى لها إن

لم تستقرأ من داخل المتن. وهكذا، تبعا لراستيي، يمكن إعادة صياغة حقل اللسانيات على قاعدة ما يصطلح عليه بـ "فضاء المعايير" وهو فضاء يمتد من عمومية القانون إلى الخصوصيات والفرادات التي تجسدها الظواهر اللغوية في سياقات ورودها داخل أجناس وأساليب وخطابات محددة [27]، ويمثل هذا الفضاء بواسطة أداته الاستقصائية المتمثلة في لسانيات المتون مجالا لتجسير المسافة الفاصلة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام. وفيما يخص النواة "الثابتة" التي تسمى لسانا بالمعنى الضيق ستُختزل، وفق الفهم السوسيري الجديد الذي يدعو راستيي إليه، في بنية المورفيمات والقيود المقطعية وبنية المركب، مما يسوغ استمرارية الأبحاث اللسانية التي تشتغل على الخصائص الصورية للأنساق الجزئية لأنظمة الألسن الطبيعية، لكن دون أن تدعي أنها تمثل البرنامج الشامل للسانيات السوسيرية الجديدة، لأنها مدعوة للاندماج في المقاربة الموسعة المبنية على تكامل المنظورات والمستويات ومدارج تنظيم العلامة اللغوية.

يمكن بناء السوسيرية الجديدة حسب تصور بوكي[28] على المبادئ الخمسة التالية:

المبدأ الأول: الثنائية غير المنفصلة: بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، لأنه وفق مفترض سوسير يمكن تعميم لسانيات اللسان على لسانيات الكلام

المبدأ الثاني: مبدأ السميأة sémioticité، ومعنى هذا المبدأ أن تعريف العلامة في "الدروس" التي نشرها بالي وسيشهي تعريف اختزالي، فالعلامة اللغوية موضوع إبستمولوجي مركب عنده، مصطلح عابر transversal لكل طبقات اللسان، وكل مستويات تعقيد اللسان موضوع التحليل: الطبقة الصوتية والصرفية والتركيبية، فلكل مستوى من هذه المستويات علاماته. فمسعى سوسير صياغة سيميائيات موحدة للغة، تُسلم بالطبيعة المنسجمة لموضوعها. ويقبل مصطلح العلامة اللغوية التعميم على لسانيات الكلام.

المبدأ الثالث: مبدأ الاختلافية: خاصية السلب/التعارض نفي للتحديد "الجوهراني"، ويعني ذلك أن خصائص الوحدات متحولة وغير ثابتة، فمثلا إن شئنا تحديد سمات دلالية لوحدة معجمية، لن تكون سوى سمات اختلافية لأنها ستحدد داخل نسق كلي، تتعارض فيها تلك الوحدة مع وحدات أخرى في سياقات متعددة، بحيث يستحيل معه وجود تحديد تام ومغلق لسمات وحدة معجمية معينة، لأن تحديد سماتها متحول وغير قار، لأنه مقرون بدلالة ورودها، مما يجعل أي تحديد سماتي قار ومغلق وثابت مدعاة للشك وللمساءلة.

المبدأ الرابع: مبدأ الخوارزمية: ويعني هذا المبدأ أن العلاقة بين الحدود يمكن التعبير عنها بوسائل رياضية، دون أن يعني ذلك اختزال اللغة في صورنة مجردة، وإنما يعني ذلك أن القيم المتعددة للوحدات اللسانية يمكن تمثيلها بطريقة رموز رياضية.

المبدأ الخامس: مبدأ التجريبية: ومعناه أن العلامة باعتبارها موضوعا للعلم هي موضوع تجريبي، قابل للملاحظة حامل لإحداثيات زمانية ومكانية، فالعلامة قابلة للملاحظة في ذهن متكلم اللغة، وبتعبير سوسير: "لا يوجد لسانيا إلا ما يمكن إدراكه بواسطة الوعي أي ما يكون علامة وما يصير كذلك علامة".

بالإضافة إلى المبادئ المذكورة أعلاه يقيم برنامج السوسيرية الجديدة تمييزا دقيقا بين مستوى محلي تتحدد فيه القيم التأليفية للسان، تحلل فيه الطبقات الصوتية والصرفية والتركيبية وفق مبدأ الاختلافية، ومستوى شامل تتموضع فيه وحدات لسانيات الكلام، ووحدات هذا المستوى ليست تأليفية ترابطية، لكنها تحدد معنى الوحدات الصغرى، وفق المبدأ السوسيري القاضي بأنَّ الجزء يحدد بالكل والكل يحدد بالجزء، غير أن علامات الكلام ليست تأليفية .

وعلى سبيل الختم نشير أن تطوير برنامج السوسيرية الجديدة مرهون بضرورة مواصلة قراءة نصوص سوسير دون الانحصار في نص "الدروس"، طالما أن المقاربة الفيلولوجية لم تُكمل مشروعها بعد، فمسالك الطريق ما زالت غير معبدة، وتكتنفها صعوبات كثيرة. لكن بالإمكان بناء برنامج تقوده القضايا التالية [29] التي تعتبر مفتاحا لصياغة خريطة معرفية جديدة للسانيات ضمن علوم عصرها، مضاءة بالتلقيات السوسيرية الجديدة:

- التفكير في صياغة لسانيات موحدة، تعيد تنظيم شتات علوم اللغة بنظرياتها ونماذجها داخل إطار مندمج وموحد تفتقر إليه علوم اللغة اليوم.
- توحيد التقليد المنطقي- النحوي والتقليد البلاغي- التأويلي الذي تعرض للفصل في البرامج العلمية التي شكلت منظومة المعارف والعلوم في القرن العشرين، ولقد كانت آثار هذا الفصل ونتائجه السلبية ملحوظة بشدة في الدراسات اللغوية وفي العلوم الإنسانية بشكل عام.
- تجاوز فصل الطبيعة والمادة عن الثقافة، ومن نتائجه التمييز بين العلوم المعرفية وعلوم الثقافة.
- بلورة فلسفة جديدة للغة ليست وضعية أو علموية-تقنوية، بل تبني أفقها على استعادة "الفلسفة الثانية" لفيتجنشتاين، أو الهرمنيوطيقا المادية لشلايماخر. ومن شأن استعادة التصور اللا-حضوري للغة De-ontologie، وفق ما بَيَّن راستيي أن يمكننا من بلورة دقيقة لبرنامج السوسيرية الجديدة.

- استعادة اللسانيات لريادتها للعلوم الإنسانية، تلك الريادة التي فقدتها اليوم، ومن شأن هذه الاستعادة أن تفتح آفاقا للتعاون وتصالح اللسانيات مع علوم الأدب وعلم الاجتماع وعلم النفس...

وينبغي تأكيد أنّ مصطلح "السوسيرية الجديدة" أضحى يمثل لدى بعض مستعمليه في فرنسا، مثل بوكي وراستيي، برنامج بحث يرتكز على مشروع إعادة قراءة سوسير في ضوء الاكتشافات الجديدة، وتحديدا ما جمعه مؤلف "كتابات في اللسانيات العامة " المنشور سنة 2002، وغيره من النصوص السوسيرية التي تبين أن إعادة قراءة سوسير في ضوء تحولات المشهد المعرفي الراهن في مجال اللسانيات والعلوم المعرفية مسألة بالغة الأهمية.

****

الهوامش:

* لا بد من توضيح يخص جهاز المصطلحات الذي استعملناه في مقالنا مع تبرير اختيارنا له. ويتعلق الأمر بالمصطلحات التالية:

– راهنية : استعملناه مقابلا لـ Actualité وترهين مقابل لـ Actualisation ولم نختر مصطلح الحضور لأنه مقرون بـ Présence الذي يبتعد معناه عن المقصود بالراهنية.

– منهاجية: يقابل عندنا مصطلح Méthodologie ولا بد من تمييزه عن Méthode الذي يصح مصطلح " منهج" مقابلا له.

– أنموذج: وظفناه مقابلا لـ Paradigme واستعملنا جمعه " أنموذجات" بتطبيق قاعدة الجمع، وميزنا " أنموذج" عن " نموذج" Modèle

– بينيات وعبريات: مقابل لما يندرج في إطار تداخل وتفاعل التخصصات، حيث نضع بينيات مقابلا لـ Interdisciplinarité وهو شكل من أشكال تفاعل التخصصات العلمية والعبريات مقابل عندنا لـ Transdisciplinarité وما يميز الصيغة العبرية لتفاعل التخصصات هو عبور قضايا ومحاور وإشكالات علمية لمجموعة من التخصصات، بحيث يمكن أن تتضمن بعض التخصصات قضايا علمية مشتركة، لكن زاوية النظر إليها تختلف من تخصص إلى آخر.

– وجاه: استعملناه مقابلا لـ Interface وهو مصطلح له امتدادات في تخصصات متعددة وعلى رأسها علوم الحاسوب، يشمل أنظمة التفاعل بين عنصرين أو أكثر مثل تفاعل إنسان / آلة، نظام يُمَكِّن من ترجمة المعلومات ونقلها بين عنصرين أو أكثر. ولقد شاع استعماله في اللسانيات والعلوم المعرفية، في سياق تحديد أشكال وصيغ التفاعل بين الأنظمة المعرفية، مثل التفاعل بين الأنظمة الفرعية المتخصصة في المعالجة اللغوية وأنظمة الذهن الأخرى المتخصصة في التفكير والاستدلال أو الإبصار وغير ذلك.

–السميأة: يقابل عندنا مصطلح Sémioticité والصيغة الاشتقاقية التي اخترناها تنسجم مع اختيار السيميائيات مقابلا لـ Sémiotique، والسميأة إشارة إلى الفعل السيميائي المرتبط بأنظمة العلامات اللغوية وغير اللغوية على حد سواء وقدرتها على إنتاج الدلالات.

– العرفنية: اقترحنا مصطلح العرفنية مقابلا لـ Cognitive والفعل عرفن Cognitiviser واستقر اختيارنا على "العرفنية" لقدرة المصطلح على الدخول في صيغ اشتقاقية متعددة بيسر، في انسجام تام مع طبيعة النظام الصرفي للغة العربية، واستبعدنا بطبيعة الحال الاختيارين المتداولين " معرفية" و" إدراكيات".

(1) يتعلق الأمر ب" محاضرات في اللسانيات العامة " المنشور سنة 1916 بعناية وإشراف بالي وسيشيهاي.

(2) نقصد بالمصادر الأصول المصادر المخطوطة التي ضمها كتاب غودل " المصادر المخطوطة". ويطرح المتن السوسيري الموسع والذي يجمع بين دفتيه نص " الدروس" والدراسات التي نشرها سوسير بإسمه ومدونات تلامذته ونص " في الجوهر المزدوج للغة" إشكالية تتعلق بنقطة الدخول إلى هذا المتن، فلم تعد " محاضرات في اللسانيات العامة" تمثل النص المرجعي الوحيد لقراءة فكر سوسير، حيث أصبحت مسالك القراءة ومنافذها متعددة. لقد بدأت حركية نشر المخطوطات السوسيرية منذ الخمسينيات من خلال عمل فيلولوجي قاده كل من غودل Godel و إنجلر Engler ودي مورو De Morro لكن النقاش حول علاقة نص " محاضرات في اللسانيات العامة" بالمخطوطات المنشورة لن يبدأ إلا في أواخر تسعينيات القرن الماضي، ولم يعد مع ذلك الاكتشاف نص " المحاضرات" نقطة الدخول الوحيدة والإجبارية للفكر السوسيري. ويكشف المتن السوسيري الموسع مسألة غياب النص المكتمل والنهائي المجسد للفكر السوسيري في صورته النسقية والمكتملة، وتجبرنا هذه النصوص على إعادة قراءة سوسير بصيغة منذورة للتجدد، في أفق مساءلة التمثلات المختزلة للفكر السوسيري في صيغة مسلمات جاهزة من قبيل أن سوسير كان منظرا للسان واستبعد الكلام، أو سوسير مؤسس الثنائيات التي مثلت إحدى دعائم الفكر اللساني الحديث.

(3) Toutain, Anne Gaelle, le cours de la linguistique générale et l'histoire du Saussurisme ; ENTORNOS Vol. 29. NO. 2. 2016 ; p205.

(4) بدأ استعمال مصطلح " السوسيرية الجديدة" مع أماكر من خلال عمله " اللسانيات السوسيرية" الذي صدر سنة 1974 ، ليتحول هذا الاستعمال إلى برنامج بحث دافع عنه كل سيمون بوكي وفرانسوا راستيي. وتمثل السوسيرية الجديدة بحسب راستيي مجالا خصبا للسانيات المتون التي تشتغل على النصوص الرقمية، لأنها تتضمن مجموعة من التصورات والإجراءات التي تعيد تعريف مفهوم العلامة حتى ينسجم مع أنظمة العلامات المعقدة التي تفرزها النصوص الرقمية. ويجد هذا الطرح مسوغه في ارتباط لسانيات سوسير بالنصوص، مثلما تبين دراساته للأساطير والجناس التصحيفي. ويقتبس راستيي من طبعة دومورو قول سوسير: "تكمن قيمة شكل ما في النص الذي يتضمنها"

Saussure ed. De Mauro ; 1972 ; p351.

Rastier ;f ; Saussure et les textes ; 2009 ; textes et cultures ; vol 14 ; n4 ; p16.

Amacker, R , linguistique saussurienne, Genève, Droz, 1976.

(5) Bouquet ; Simon ; Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure ;ENTORNOS Vol. 29. Nº. 2. 2016; p. 258.

(6) ibid.; p. 259.

(7) Claudine Normand ; la coupure saussurienne ;*Linx*[En ligne], 1995 mis en ligne le 13/7/2012 consulté le 01/10/2016. URL : http://linx.revues.org/1157 ; DOI: 10.4000/linx.1157.

يقدم مقال كلودين نورمان عرضا دقيقا ومفصلا للتلقي الأكاديمي لسوسير.

(8) يقول راستيي: "يمكن أن نعيد قراءة سوسير اليوم بطريقتين متكاملتين: فمن جهة، من أجل إعادة بناء فكره بالنظر إلى لسانيات عصره، أو من أجل المساهمة في تطوير التيارات السوسيرية للسانيات الراهنة". وبحسب راستيي فإن إعادة بناء الفكر السوسيري في سياقه التاريخي تستوجب الانتباه إلى مجموعة من المسائل التي أسقطتها التصورات التأريخية المختزلة لنشأة لسانيات سوسير وتطورها، من بين هذه المسائل: ارتباط التقليد المنطقي والفيلولوجي بالتقليد التأويلي. يقول إدريس الخطاب: "كان علم اللسانيات مرتبطا بالنصوص وليس بالكلمات والجمل، لقد لاحظ راستيي أنه في عصر النهضة، كانت الإنسانيات مقرونة بعلوم اللغة... وأخيرا، نشأ مشروع التاريخ المقارن للآداب في ألمانيا الرومانسية في نفس الوقت الذي نشأت فيه اللسانيات

التاريخية والمقارنة: ويمثل فريديرك شليغل وهومبولت هذا المجال، ومن الواضح أنه لا يمكننا وضع تاريخ للغات دون التطرق إلى تاريخ النصوص التي تجسد اللغات وتؤسسها وتخلقها". إدريس الخطاب، علوم الثقافة، دار تبقال للنشر، 2017 .

Rastier; François ; De l'essence double du langage un projet révélateur ; *Textes et cultures,* vol. XVIII (2013), n°3 p14.

(9) يبين راستيي أن مصطلح "اللسانيات العامة" هو تسمية أكاديمية متداولة في عصر سوسير، توظف بمعنى : كل الدراسات اللسانية، وبهذا المعنى فهي تضم اللسانيات التاريخية والمقارنة، وهكذا فالدلالة التي أخذها المصطلح في الدراسات اللسانية للقرن العشرين، وبشكل خاص في فرنسا، تشكل انحرافا واضحا عن دلالته التاريخية. والملاحظ أن سوسير وإن لم يستخدم إلا نادرا مصطلح لسانيات عامة، غير أنه قد استخدم مصطلح علم اللغة. ومن مقتضيات عدم استحضار لسانيات القرن العشرين للحمولة المفاهيمية الأصلية لمصطلح " اللسانيات العامة " التخلي عن اللسانيات التاريخية والمقارنة وبرنامجها العلمي لصالح الاشتغال على اللغة بالمعنى التجريدي والكلي.Rastier; ibid.; p12

ibid. ; p. 2. (10)

ibid.; p. 11. (11)

ibidem (12)

Rastier ; ibid.; p.8. (13)

(14) قدم مصطفى غلفان تحليلا مفصلا للإشكالات الفيلولوجية المرتبطة بعلاقة المتن السوسيري بنسخة الدروس في سياق إعادة بناء لسانيات سوسير وتحديد " هويتها الفكرية". يُنظر : مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد، 2017.

(15) يعتبر كتاب سيمون بوكي " المدخل إلى قراءة سوسير" والذي نشر سنة 1997، من الدراسات التي تكتسي أهمية بالغة في صياغة دقيقة لمسعى سوسير نحو تحقيق المنعطف الإبستمولوجي للسانيات المقارنة بربط مشروعها بضرورة الانتقال من بناء القوانين الجزئية نحو صياغة قوانين عامة للأنساق اللغوية: Bouquet ; Simon ; introduction à la lecture de Saussure; eds. ; Payot ; 1997.

(16) أوظف مصطلح محوريات وفق الصيغة التي سبق أن عرضناها في كتاب: " قضايا إبستمولوجية في اللسانيات". امحمد الملاخ- حافظ إسماعيلي علوي: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009، ص 164 – 178

(17) يعتبر نص " في الجوهر المزدوج للغة" أو ما يعرف بنصوص مشتل البرتقال أهم كتابات سوسير لأنه عبارة عن مشروع كتاب حول اللسانيات بدأه سوسير وقطع أشواطا هامة في إعداده وكان ينوي نشره، والنص وارد في "كتابات في اللسانيات العامة".

Ecrits de linguistiques générales ; Gallimard ; paris ; 2002.

(18) Rastier, F, 2013 ; pp. 8 – 9.

Rastier ; F ; sémiotique et sciences de la culture ; VOL. 14 – ANO 33 – N° 1 – 2009.

(19) Bouquet ; Simon ; Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure ;ENTORNOS Vol. 29. NO. 2. 2016, p258.

(20) وليم كاراسكو، النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، ترجمة محيي الدين محسب، ضمن : العودة إلى سوسير، أعمال مهداة إلى العلامة محمد البكري، تنسيق حافظ إسماعيلي علوي، عبد الجليل الأزدي، مولاي يوسف الأزدي، دار كنوز المعرفة، 2017 ، ص 375 .

(21) Rastier, F, 2013 ; p 9.

(22) عبارة "مفردات وقواعد" عنوان كتاب لستيفن بينكر يتأسس على التصور التوليدي للغة وآليات عملها، ويتلخص في فرضية أن اللغة قائمة على توليف للوحدات المعجمية تتحكم فيه قواعد ومبادئ كلية وخاصة. ويعتبر راستيي أن هذا التصور للغة وآليات عملها يشكل امتدادا للفكر الوضعي وللتوجه المنطقي- النحوي الذي ينطلق من تقطيع الكل إلى أجزاء، ويمثل هذا التقليد نقيضا للتوجه التأويلي الذي يشتغل على الوحدات الكبرى من قبيل النصوص والأجناس النصية والمعايير النصية والاستعمالات اللغوية. وينطلق من كون الشمولي يحدد المحلي.

Rastier; F. 1996 ; problématiques du signe et du texte ; intellectica ; vol 2-23 ; pp

(23) Bouquet ; Simon ; Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure ;ENTORNOS Vol. 29. NO. 2. 2016.pp 264- 266.

(24) ibid.; p260.

(25) Bouquet ; Simon ; y a-t-il une théorie saussurienne de l'interprétation ; *Cahiers de praxématique 33, 1999, 17-40 ; pp 19 -22*

(26) Rastier, F., 2013; p12.

- يقول راستيي : "لا وجود لنص مكتوب من داخل لسان فقط، بل هو مكتوب من داخل جنس معين وداخل خطاب محدد، مع الأخذ بعين الاعتبار قيود اللسان" 2013، ص 12 .

(27) راستيي "سوسير في المستقبل"، ترجمة حافظ إسماعيلي وحسن المودن، ضمن: العودة إلى سوسير، ص 399.

(28) Bouquet, Simon; Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure ;ENTORNOS Vol. 29. NO. 2. 2016.pp.268-259.

(29) نستقي هذه القضايا من الدراسة الرائدة التي أنجزها سيمون بوكي:

Bouquet ; Simon ; Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure ;ENTORNOS Vol. 29. NO. 2. 2016 p267

قائمة المراجع العربية:

الخطاب، إدريس، علوم الثقافة، دار تبقال للنشر، 2017 .

علوي إسماعيلي، حافظ، عبد الجليل الأزدي، مولاي يوسف الأزدي: العودة إلى سوسير، أعمال مهداة إلى العلامة محمد البكري، دار كنوز المعرفة، 2017 .

غلفان، مصطفى ، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد، 2017.

الملاخ، محمد، إسماعيلي علوي، حافظ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009

قائمة المراجع الأجنبية:

Amacker, R , linguistique saussurienne, Genève, Droz, 1976.

Bouquet, Simon ; Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure ;ENTORNOS Vol. 29. NO. 2. 2016.

Bouquet, Simon ; introduction a la lecture de Saussure; eds. Payot; 1997.

Bouquet, Simon ; y a-t-il une théorie saussurienne de l'interprétation; *Cahiers de praxématique, 33, 17-40, 1999.*

Claudine Normand, la coupure saussurienne ; *Linx* [En ligne], 1995 mis en ligne le 13 juillet 2012, consulté le 01/10/2016. URL : http://linx.revues.org/1157 ; DOI : 10.4000/linx.1157.

Rastier, F., problématiques du signe et du texte; intellectica ;1996.

Rastier, F., Saussure et les textes; textes et cultures; vol 14; n° 4, 2009.

Rastier, F., sémiotique et sciences de la culture; vol. 14 – ANO 33 – N° 1 – 2009.

Rastier; F., De l'essence double du langage un projet révélateur ;*Textes et cultures,* vol. XVIII, n°3, 2013.

Toutain, Anne Gaëlle, le cours de la linguistique générale et l'histoire du Saussurisme ENTORNOS Vol. 29. n°. 2. 2016.